لقاءات الصَّلاة

(اللقاء الأول)

أ. أناهيد السميري

بسم الله الرحمن الرحيم

أخواتنا الفاضلات، إليكم سلسلة تفاريغ من دروس أستاذتنا الفاضلة أناهيد السميري حفظها الله، وفّق الله بعض الأخوات لتفريغها، وسمحت لهنّ الأستاذة بنشرها، ونسأل الله أن ينفع بها، وهي تُنشر في مدونة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ)

/!#/http://tafaregdroos.blogspot.com

تنبيهات هامة:

– منهجنا الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح.

– هذه التفاريغ من اجتهاد الطالبات ولم تطلع عليه الأستاذة حفظها الله، أما الدروس المعتمدة من الأستاذة فهي موجودة في شبكة مسلمات قسم (شذرات من دروس الأستاذة أناهيد)

/http://www.muslimat.net

– الكمال لله عز وجل، فكتابه هو الكتاب الوحيد الكامل السالم من الخطأ، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم فيه من خطأ فمن أنفسنا والشيطان، ونستغفر الله..

والله الموفق لما يحب ويرضا.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

يتشرَّف العبد بالوقوف بين يديِّ الرَّب، ويزيد الإيمان كُلَّما زاد هذا الوقوف إحسانًا. ولا رَيْب أنَّ هذا الشَّرف لا يُشعَر به شرفًا إلا إذا كان العبد يعرف حقارة نفسه وفقره وضعفه وذُلِّه وحاجته إلى ربه. إذا كان العبد يعرف عظمة الله وكمال جلاله وجماله، ويعرف آثار رضوانه ومغفرته وقبوله لعبده، لاريب أنَّ الصلاة تُصبح قُرَّة عينٍ للمُحبِّين، ولذَّةٌ للأرواح التي شَقِيَت في الدنيا، أشقَتنا أنفسنا، فجعل الله لنا الصَّلاة هي النَّعيم.

فيا خَيبة من تولَّى عن باب ربِّه! وترك هذا الفضل والنَّعيم المقيم مُنشغلاً عنه إلى أنواع من الشَّقاء والشَّهوات!.

والله امتحنّا بالشَّهوات وأسبابها من داخلنا ومن خارجنا، فكان **من تمام رحمته بنا أن هيَّأ لنا هذه الصلاة**؛ نطرق بها باب الإله، نتذلَّل عنده ونرجو منه المزيد، بل نرجو منه مغفرة الذنوب ومحوها ورِفعة الدَّرجات والزِّيادة في الآخرة والدنيا.

وما أنعم الخلق! ما أنعمهم والملِك يدعوهم إليه كلَّ يومٍ خمس مرات!

فمن قدَّر لنفسه قدْراً وعظَّم ربَّه تعظيمًا، اعتنى بشأن الصلاة، وقضى من وقته زمن يتفكَّر فيها، ويستعدُّ لها، ويُشَوِّق نفسه، ويُمنِّيها بها، ويَفِرُّ إلى الله من طريقها.

فيا عجب من لم يعتنِ ولم يهتم!.

إنَّ نِعَم الله على الخلق في أبدانهم تترى لا تستطيع لها حصراً، لكن من عرف حقيقة نفسه، عرف أنَّ أعظم النِّعم أنَّك حال ماتستوحش من نفسك ومن النَّاس، وحال ماتضيق بك الأرض على مارحُبت واتَّسعت، تجد باباً تنفَذ منه إلى الراحة هرباً من الشقاء، وإلى النَّعيم هرباً من الجحيم، وإلى النُّور هربًا من الظُّلمة، فما أعظمها من نِعمة، وما ألذّها من قرُبة، يشتاق إليها من عرف نفسه وعرف الله.

الفقر! الفقر هو صفة من انتفع بالصلاة.

الذي يُصلي وهو في غاية الفقر لربِّه، وفي غاية التَّعظيم له، وقد انطوى قلبه على معرفة كمال ربِّه!

- يَلْتَذُّ هذا بالصلاة
- يُعظِّم هذا الصلاة
- يتذوَّق هذا الصلاة

ولذلك كان من الإحسان إلى النفس والإحسان إلى الغير أن نتدبَّر سويًّا شأن الصلاة، ونُعظِّم قدرها في نفوسنا، ونتذوَّق حلاوة الإيمان بهذا التذاكر؛ علَّنا نتذوَّق حلاوة الإيمان في وقت الصلاة.

((ذَاقَ طَعْمَ الإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالإِسْلاَمِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولاً))[١] نُريد أن نتذاكر لنجد حلاوةً في قلوبنا، وانشراحاً في صدورنا للصلاة، والله أمرنا أن يُذكِّر بعضُنا بعضاً؛ ليتحرَّك هذا الإيمان ويزيد، ولنبلُغ به رضى الرحمن، نسأل الله أن نكون من المقبولين.

هذا ما قصدنا في هذه الحلقات، ومالتوفيق إلا بالله، عليه يتوكّل المتوكلون وإليه ينيب المنيبون، بك اعتصمنا، وعليك توكلنا، وإليك أنبنا، ربّنا فاقبلنا ولا تردَّنا خائبين، أَرِدْنا رضاك، ونريد أن نَشْغِل أوقاتنا بذِكر أعمالٍ تُوصِلنا إلى رضاك؛ فاقبل منَّا انشغالنا وتذاكُرنا، واجعله من صالح أعمالنا؛ إنك قريب مجيب الدعاء.

فإذا عَلِمنا أنَّ الله سبحانه وتعالى جَعَل هذه الصلاة كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم في حديث أبي هريرة: ((أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ صَلَاتُهُ))[٢]، فالله جعل أوَّل الحِساب على الصَّلاة، فإن وُجِدت تامَّة، كُتبت تامَّة. وإن كان انتقص منها شيء، قال سبحانه وتعالى : ((فَإِنْ كَانَ أَكْمَلَهَا وَإِلَّا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ انْظُرُوا لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ فَإِنْ وُجِدَ

[١] "صحيح مسلم" (كتاب الإيمان، باب ذَاقَ طَعْمَ الإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا، ١٦٠).

[٢] رواه أحمد في مسنده، والترمذي والنسائي وابن ماجه في السنن. تعليق شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الصحيح

لَهُ تَطَوُّعٌ قَالَ أَكْمِلُوا بِهِ الْفَرِيضَةَ))[1] ثم سائر الأعمال تجري على حسب ذلك، وهذا شأن عظيم إذا كانت الصلاة أوَّل ما يُحاسب عنها العبد، إذن لا يستقيم دينه ولا تصلح أعماله ولا يتعدل سلوكه في شؤون الدنيا والدين حتى يقيم الصلاة على وجهها؛ لأن الحديث يدلُّ على أنَّ كل الأعمال تابعة للصلاة في القبول، هذا يوم أن نلقى ربنا، فإذا كان الأمر كذلك فالشَّأن في الدنيا سيكون بنفس الطريقة، لا يستقيم دين الإنسان ولا تصلح أعماله ولا يعتدِل سلوكه إلا إذا قام الصلاة على وجهها المشروع.

والوجه المشروع : فيه عقيدة وعمل، فيه إخلاص ومتابعة. فكان من الواجب أن نعِظ بعضنا بعضًا في هذا الإخلاص وفي هذه المتابعة، وأن يتبيَّن لنا ماهو الطريق الذي نصل به إلى تحقيق هذا الركن العظيم، الركن الذي هو التعبير الحقيقي عن كلمة لا إله إلا الله.

فالصلاة

- هي الركن الثاني من أركان الإسلام.
- وهي آكد أركان الإسلام بعد الشهادتين.
- وهي التعبير الحقيقي عن شهادة أن لا إله إلا الله وشهادة أن محمدًا رسول الله.

فهذه الصلاة تأتيك بعد الاعتراف بأنَّ لك ربًّا عظيمًا على العرش استوى، أنت **تُحبّه** و**تعظِّمه**، أنت **تُألِّهُه**، أنت تتعلَّق به، فتُعبِّر عن تعلُّقك وركونك إليه واعتمادك عليه تُعبِّر الصلاة، فهي صلة بينك وبين الإله العظيم، الربّ الكريم، صاحِب العطايا، الملك القدُّوس السَّلام المهيمن العزيز الجبَّار المتكبِّر.

[1] "سنن النسائي" (كِتَاب الصَّلَاةِ، انظروا لعبدي من تطوع فإن وجد له تطوع قال أكملوا به الفريضة).

إنَّ من صدَق في لاإله إلا الله تحرَّك قلبه للمناجاة، تحرَّك قلبه أن يُناجي الربَّ الكريم الذي يؤلّهه، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : ((إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا صَلَّى يُنَاجِي رَبَّهُ))[١]، فيا فوز من أحسن الصلاة!

إنَّه يُناجي الله

يُكلِّم الله

تأتي عليه مواطن يكون أقرب ما يكون إلى ربِّه، إنَّه يشهد على إيمانه بالغيب، من صلى فأحسن الصلاة، شهد على إيمانه بالغيب، أتى بدليل أنَّه يؤمن بالله الذي في السَّماء، فإنَّ هذا المصلي وهو يُؤمِن أنَّه بين يديِّ الله يُكلِّمه ويُناجيه ويتحقَّق الحديث في نفسه، كما في الحديث القدسي الذي يرويه النبي صلى الله عليه وسلم عن ربه: ((قَالَ اللَّهُ تَعَالَى قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: حَمِدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي...))[٢] يتحقَّق هذا الحديث في قلب العبد فهو يؤمن بالغيب، وهو يؤمن أنَّه لما يقف في الصلاة يقف بين يدي الله، أنه لما يقول (الحمدلله رب العالمين)، الله يجيبه فيقول حمدني عبدي، وإذا قال الرحمن الرحيم، يؤمن أن الله يجيبه فيقول: أثنى علي عبدي.. إلى آخر الحديث المشهور الذي يدلُّ على إيماننا بالغيب إن حقَّقناه؛ -إن حققنا هذا الحديث دلّ على إيماننا بالغيب- لأنَّك لا تسمع الله العظيم وهو يجيبك، وأنت تقف بين يديه ولا تراه في الدنيا، فمن أحسن الإيمان بالله وبالغيب فوقف بين يدي الله وهو لا يراه لكنَّه كأنَّه يراه، فقد دَلَّل دليلاً عظيمًا على إيمانه بالغيب.

هؤلاء القوم الذين يؤمنون بالغيب كما قال تعالى في سورة البقرة: **قَالَ تَعَالَىٰ**: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾[٣] **يؤمنون بالغيب**: صفة الكمال صفتهم في أنَّهم يؤمنون بالغيب، وما أعظم هذه

[١] "صحيح البخاري" (كِتَاب مَوَاقِيتِ الصَّلَاةِ، بَاب الْمُصَلِّي يُنَاجِي رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ – ٥٠٨).

[٢] "صحيح مسلم" (كِتَاب الصَّلَاةِ، لا صلاة لمن لم يقرأ بأم القرآن – ٥٩٨).

[٣] البقرة ١-٣.

الصفة لما تتمثَّل مُباشرة في الفعل ﴿ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ مباشرة يؤمنون بالغيب، يقفون لا يرَون ربَّهم في الدُّنيا لكنَّهم يناجونه و يكلِّمونه و يسألونه كأنَّهم يرونه، فما أعظمها من شهادة على الإيمان!.

فيا ربِّ اجعلنا ممن شهد هذه الشهادة الحق، شهد أن لا إله إلا الله وأقام الصلاة، فكانت إقامته للصلاة شهادة على إيمانه.

فكانت الصلاة مناجاة بين العبد وربه، وكانت الصلاة شاهد الإيمان، بل كلَّما تمثّل هذا الحديث، أصبح كأنَّه يعبد الله كأنَّه يراه.

وهذه الصلاة كما أنها تستلزِم الإيمان بالغيب، كذلك تستلزِم أن يكون العبد معه شعورٌ قويّ بالصلاة، بأفعالها، فإذا آمنت أنَّك تقف بين يدي الله، بقي عليك أن تشعر بالأفعال التي تفعلها كيف أنت تؤديها بين يدي الله. ولذلك: **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ﴾[1]، فعُلم من ذلك **أنَّ الإيمان إذا تحقَّق، أتى الشعور بأفعال الصلاة.**

نحن في الصلاة نشهد بإيماننا بالغيب وأنَّنا نُناجي ربَّنا وأنَّنا نُكلِّم ربَّنا ويُكلِّمنا ربنا، هذا إيمان بالغيب، نحتاج معه الشُّعور بكل أفعال الصلاة، **فالشُّعور بكل أفعال الصلاة هذا هو الخشوع**، وهو حضور القلب في كل أفعال الصلاة.

ولهذا يقول الله عزَّ وجلَّ : ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ﴾ فشعورهم تجاه الصلاة حاضِر فانتفَعوا بذلك في صلاتهم.

ومما يُسبِّب هذا الخشوع ماذكر الله عزَّ وَجلَّ في نفس سياق الآيات: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ﴾[2]، فعُلِم من هذا أنَّ الصلاة عظيمة، فيها شاهد الإيمان، يُحسِنْها من كان مُؤمناً، يُحسنها من كان حاضِر القلب، يُحسنها

[1] المؤمنون ١-٢

[2] المؤمنون ٣

من عرف أنَّه في موقف مناجاة، وَهذا الذي يشعر بهذا كلُّه ستكون الصلاة **قُرَّة عينه**؛ لأنَّه يتطلَّع من ورائها إلى جنات النعيم، يقضي زمنه في مناجاة ربِّه، يسأله ويرجوه، ويستغفره ويتوب إليه، ثم يطمع أن يجد هذا كله يوم أن يلقاه. فاللهم تقبَّل منَّا أعمالنا وانفعنا بها لما نلقاك.

والذي ينظر للصلاة هذا النظر –نظر الإيمان واجتماع القلب– يحتاج أيضًا في إيمانه بالغيب وهو يؤمن أنَّه يُعامِل الله العظيم فيؤمن بالغيب أنه بين يديّ الله. ومن بين الأمور التي عليه أن يؤمن بها:

أن يؤمن **أنَّ هذه الصلاة هي مفتاح الجنَّة، فإنَّ لا إله إلا الله مفتاح الجنَّة، والأعمال هي أسنان هذا المفتاح كما عبّر السلف.**

فالعبد المؤمن كما يؤمن أنَّه في الدنيا في صلاته يقِف بين يدي ربِّه يؤمِن أنَّ صلاته هذه ستنفعه يوم أن يلقى ربَّه، فهو مؤمن في الدنيا بأنَّه بين يدي الله يناجي الله، و مؤمن أنَّه سيلقى الله يكلمه ما بينه وبينه تُرجمان، فلذلك لما يتعامل مع الصلاة وهو يُحب أن يكون اللقاء بينه وبين الله لقاء خير وبركة، ويكون لقاء الله أحسن الأحوال، ويعرف أنَّ الذُّنوب هي التي تُعيق أن يكون اللقاء بهذه الصورة، فيتفكَّر في الصلاة على أنَّهُنَّ يمحين الخطايا، **أنَّ الصلاة تمحى بها الخطايا وتُكفَّر السيئات.**

عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ وَفِي حَدِيثِ بَكْرٍ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: ((أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا -بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ قَالُوا لَا يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ قَالَ فَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ يَمْحُو اللَّهُ بِهِنَّ الْخَطَايَا))[1].

فنحن نؤمن أننا نقِف في الصَّلاة نعبد الله كأنَّنا نراه، فنقرأ الفاتحة ونركع ونسجد ونحن على يقين أنَّنا نُكلِّم الله، هذا إيمان.

[1] "صحيح مسلم" (كِتَاب الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاة، من تطهر في بيته ثم مشى إلى بيت من بيوت الله ... ، ١٠٧١).

الفرع الآخر من الإيمان: أنك تؤمن بلقاء الله، وحتى يكون هذا اللقاء أحسن ما يكون، نحن يعيقنا في ذلك الذنوب، فالمؤمن المستعِدُّ للقاء المتهيب منه، الذي يحمل هم اللقاء، يبحث عن الكفَّارات بحيث يلقى الله ماعليه خطيئة. فلمَّا يسمع حديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي يشبّه الصلاة بالنهر الذي يغتسل منه العبد خمس مرَّات وكيف أنَّ هذه الصلاة تعمل عمل النهر في بدن ابن آدم المتَّسِخ، فتعمل الصلاة عمل النَّهر في القلب المتَّسِخ بالذُّنوب، الذي كم عاهد فأخلف، وكم تقرَّب فانتكس، وكم أصلح وبذل الجهد في الإصلاح لكن يُخذل فيَفسَد. **فالصلاة غسيل لهذا القلب!**.

فاللهم اغسل قلوبنا بالإيمان وأصلح أحوالنا مع الصلاة ووفِّقنا اللهم أن نستعدّ باللقاء بهذه الصلاة العظيمة، وصلى الله على سيدنا محمد و على آله و صحبه أجمعين.